



إنْ كان لا يوجد شُرُّ مغضٍ من جميع الوجوه، وأنَّ الخير والشَّرَّ أمران اعتباريَّان كما عبر به العلماء والحكماء، فإنَّ محنة سوريا وشعبها الذي يدفع فاتورة الظُّلم الاستبداديَّ من جهة، والمطامع البراجماتيَّة من جميع وجهاتها من جهة أخرى جعل المتأمِّل والمستقرٍ للواقع الضَّبابي يستوقف كثيراً مفكراً في المنح والولادة الجديدة التي تخرج من رحم العدالة، وما الوقفات الإنسانية من العالم/ والتي تضافت الجهود لها على جميع الأصعدة ما هي في الحقيقة إلَّا ولادة لغربلة عالمية لريمعنا الجديد.

إنَّ ما خلَفَه همجيَّة الحكم بسوريا على أحرارها لا تستطيع مقالتي ذكر عدد محدَّد لضحاياها، ولو أنها تجاوزت (6000 و400) من الأطفال، فهذا العدد الوحشي هز ضمائر الإنسانية، وأثبتت أنَّ المشترك الإنساني بجميع قنواته الإعلامية والصحفية والمؤسسيَّة يجب أن يحمل رسالة، ولا يمرُّ من الرياح، وأن يُصاغ في صالح الأهداف النبيلة والمصالح المشتركة التي تخدم وتنقذ الإنسان؛ فانتفاضة الشَّارع الإسلامي والعربي والإنساني واستنكاره وشجبه برسائل واضحة بعيدة عن التحييز العنصري أو المذهبي الطائفي وبعيداً عن الصراخ والهيجان العاطفي، وإيقاظ العقل والحس الذي أصابه الهزال والوهن، وتفاعله مع الحدث بكل زواياه وأبعاده هي منحة، خاصة وأنَّ العدو تكشف، فأصبح كتاباً مفتوحاً يقرؤه الجميع، ويفضله السيد تويني. مما يمرُّ على شعب سوريا الرافض للظلم من محن ففي ثنایاه المنح -بإذن الله..... ولو لم تظهر في سماء الأفق القريب، فسياسة التدمير والتخريب والتخييف والقتل هي انتصارات في الحقيقة، انتصار لقيم العدل والعدالة، وانتصار آخر للصف الداخلي؛ فالوحدة العربية والإنسانية التي تريد إيران وأنذنابها أن تتزلزل هي انتصار، وهي فرصة لمراجعة زوايا الضعف للانطلاق بقوَّة لو أخذتها الجامعة العربية تحديداً بعين الجدية، ولو أنَّ شعرى قال:

في كل صيق تُستباح ديارُنا *** ويداس طهر والعدالة تُظلُمُ

فالمنح الإلهيَّة التي قصَّها القرآن في آياته ودستوره لمن سبقوا تكشف منحًا عظمى.

فقول الملك الحق: {وَلِيُمْحَصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ}. لفتة قرآنية إلى سنة الله الحادثة في المكتَبَيْن ليقول لأهل الحق والعدل إنَّ انتصار الباطل والظلم ليس هو السنة الثابتة إنما هو حادثٌ عابرٌ وراءه حكمة خاصة، وفي المقابل هي

دعوة للصبر والاستعاء بالإيمان؛ فإن يكن في إصابتهم جراح وآلام فقد أُصيب المشركون بمثلها في المعركة ذاتها، وإنما هنا حكمة وراء ما وقع يكشف لهم عنها، وهي من أهم الحكم، وهي تمييز الصّفوف وتمحیص القلوب واتّخاذ الشّهداء الذين يموتون دون عقידتهم ومبادئهم، ووقف المسلمون أمام الموت وجهاً لوجه وقد كانوا يتمنونه لماذا؟ ليزروا وعودهم وأماناتهم بميزان واقعي، وليراجعوا قلوبهم وصبرهم على الشّدائـد.

لذا فغزوـة أحد نصر لا هزيمة - وإن قُـتل فيها من قُـتل -، وهي في الواقع زاد ورصيد لتتعرـف الأمة على مواضع ضعفها ونقصها ومداخل شهواتها لتحاول أن تصلح وضعها، وتغربـل أوراقها من جديد، وفي المقابل لفتة للنـظر في عاقبة المكـذـبين والمنـدسـين وسرـاق النـور على مدار التـاريـخ ومـداولـة الآيـام بـين النـاسـ، وبـعبارة أخـرى كـما في لـغـة العـصـر: غـربـلة المـجـتمـعـ، وهـي أـعـظـم منـحةـ، وـذـلـك لـتـربـيـته وـتـهـيـئـته لـمـا يـأـتـي لـهـا مـنـ مـصـائـبـ.

كـما إنـ منـ أـعـظـمـ المـنـحـ الخـفـيـةـ هيـ أنـ يـتـرـبـيـ المـجـتمـعـ وـالـأـمـةـ عـلـىـ أنـ يـكـوـنـ مـصـدـرـ تـلـقـيـهـاـ هوـ شـرـعـ اللـهـ الـذـيـ هوـ منـ أـخـصـ خـصـائـصـ الـعـبـودـيـةـ لـاـ مـنـ الغـربـ، وـمـنـ مـصـادـرـ قـوـتـهـاـ لـاـ مـنـ الرـعـبـ، مـتـحـوـرـةـ حـوـلـ شـعـبـهـاـ بـالـحـبـ، حـامـيـةـ نـفـسـهـاـ وـشـعـبـهـاـ أـنـ يـتـسـرـبـ إـلـيـهـ الـيـأسـ وـالـوـهـنـ وـالـضـعـفـ بـسـبـبـ مـحـنةـ أـوـ اـبـلـاءـ.

كيفـ يـكـوـنـ ذـلـكـ وـقـدـ تـعـرـفـ كـلـ عـلـىـ أـخـطـائـهـ، وـمـحـصـتـ القـلـوبـ وـالـسـرـائـرـ، وـكـانـ الـذـيـ حـصـلـ مـنـ الـمـصـائـبـ وـالـحـزـنـ تـسـلـيـةـ وـتـقـويـةـ لـقـلـوبـ الـمـخـلـصـيـنـ وـالـوـطـنـيـيـنـ مـنـهـمـ، وـبـانـتـ بـوـضـوحـ قـبـائـحـ أـعـدـائـهـمـ! أـلـيـسـ هـذـهـ مـنـحـاـ لـاـ مـحـناـ وـوـلـادـةـ جـديـدةـ؟

المصدر: الإسلام اليوم

المصادر: